محمد عبد الحليم (أبو تمام)، صقر حليمة (أبو دجانة)، كمال علي (أبو عمر)، نضال مرة وغيرهم.
في برج البراجنة تتعلم فلسطين، وتتعلم معنى الحياة ومعنى الألم.
برج البراجنة، مخيم، مثل غيره من المخيمات، وحياة مثل غيرها من حيوات اللجوء والتشرّد. صعوبة ما بعدها صعوبة، مرارة تضج منها المرارة، صبر لا يحتمله الصبر.
هنا تتعلم كيف تغتسل يومياً بمياه البحر، وهنا تتعلم العيش بلا هواء ولا كهرباء، وهنا تتعلم معنى فقدان الشمس والقمر والنجوم.
هنا تختبر قدرتك على الحياة، وسرّ إيمانك بالله، وعظمة تمسّكك بحقّ العودة.
هنا تختبر الحب، وتختبر الخيانة.
هنا تختبر الوطنية، وتختبر المتاجرة.
هنا تشاهد ألف روح تحثّك على العطاء، وتشاهد ألف جسد يحثّك على النضال، وألف قلب يرجوك أن تبادر إلى الرحمة، وألف يد تقف إلى جانبك، لتمضي أنت في رحلة تقرّب إلى الله، وهي رحلة تبدأ بالإيمان وتمرّ بالإنسان.
هنا تشاهد المرتشين والسماسرة والكذابين، الذين يبيعون ماضيك وحاضرك ومستقبلك باسم الوطنية. يرفعون اسم فلسطين، ويطعنونها في الليل ألف طعنة، يحملون اسم التحرير ويدمّرون عقول الأطفال وقلوب الشباب، ينادون بالتضحية ويسرقون تعب الرجال وقوت الأطفال وحلم الصبايا.
مخيم برج البراجنة، يا زهرة العمر، يا جورية حمراء، يا رائحة الياسمين. يا سرّ الحياة، ووجه القمر، وعطر الدم.
يا بسمة الفرح، وهدأة الليل، ونور العطاء.
في جنباتك أناس طيبون تحبهم ويحبونك، تدرك أنك سترجع معهم إلى وطن اسمه فلسطين.

أما الأسوأ في كلام عباس والمثير للقرف، فهو أنه لا يريد العودة إلى صفد، القرية التي عاش وولد فيها قبل إخراج والده منها. عباس يريد فقط رؤيتها ولا يريد العيش فيها.
«يا حنون». لم يكن ينقصه سوى أن يطأطئ رأسه ويقول: «أريد فقط تكحيل عيني برؤية صفد»، حتى يجهش هو والمذيع والمشاهدون بالبكاء من شدة رهافة شعور الرئيس الفلسطيني الوطني. عباس تخلى عن حق العودة. لا يريد أن يعود إلى صفد؟ «يصطفل». أما نحن يا سيدي الرئيس، نحن أبناء المخيمات، فإننا راضون بالقرف الذي نعيش فيه لأننا نحلم فقط بالعودة إلى المناطق التي تريد أنت فقط رؤيتها.
سيدي الرئيس محمود عباس، رجاء خاص من لاجئ فلسطيني رقم سجله 919: رجاءً، استشر طبيب عيون، فربما وصف لك الجزر لترى أبعد من حدود الـ67، وكي لا يصيبك «العمى» قبل أن ترى، مجرد رؤية، صفد... المدينة التي سأعيش أنا فيها. و«اللي عجبو».

مسألة فيها نظر

الجالية الفلسطينية في غزة

منذ بدء الحصار الإسرائيلي على القطاع، أصبح الأجنبي زائراً ومقيماً ومتضامناً ورب عمل وصديقاً. لا حرج في ذلك، إنما الحرج في تبجيل ذاك الأجنبي، لدرجة محو اي اهمية للمواطن الذي وفد ذلك الأجنبي الصديق للتضامن معه!

تغريد عطاالله

الحفل الموسيقي الذي أحياه الفنان الكندي انطوان ستراوي الأسبوع الماضي هنا في مدينة غزة، كان ساحراً ومؤثراً، ولا سيما معزوفات البيانو التي لحُنت خصيصاً لأجل القضية الفلسطينية، حسب ما فهمنا. ليس هذا فقط، لقد كانت هناك حالة انسجام عاشها الشباب الغزي المتعطش إلى الموسيقى في حفل متواضع نظمته حملة المقاطعة الوطنية لإسرائيل. اللافت في هذا الحفل أنّه سمح لفرقة جفرا الفلسطينية بالمشاركة، وهذه فرصة لا تُعوّض للموسيقيين الشباب غير المسموح لهم بإقامة حفلات موسيقية عامة، كما قال لـ «الأخبار» المغني محمد عكيلة، أحد أفراد الفرقة التي شاركت بالنشيد الوطني الافتتاحي، ومن ثم بتقديم الأغنيات التراثية الفلسطينية في الفقرة الختامية للحفل.
ولسنا هنا في سياق التطرّق إلى مشكلات الموسيقيين الشباب في غزة، مع إنها مهمة، لكنها وقفة صغيرة تأملية بالنظر الى ما تحمله في طيّاتها من دلالات على الغلو في تبجيل الأجنبي على حساب المواطن الغزي! تبجيل مردّه إلى الانطباع العام لدى الفلسطينيين والعرب على نحو عام بأنّ صاحب الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين هو مفتاح يُشرّع أبواب الجنة لصاحب الحظ السعيد. وليس سراً على أحد أنّ تدفق السفن والقوافل المتضامنة ضد الحصار الإسرائيلي على القطاع كان سبباً في كثافة الحضور الأجنبي على نحو لافت، إلى جانب تزايد عدد المؤسسات الدولية التي تُغذّي مؤسسات المجتمع الفلسطيني بمشاريع كلفتها ميزانيات خيالية جداً، ولكثرة عددها ودورها أُطلق على شارع عريض وسط غزة اسم «شارع المؤسسات الدولية».
الطريف هنا أنّ ذاك الشارع الرملي رغم ملايين الدولارات التي تنهمر عليه من كل صوب وجانب، لا يجد من يُمهده ليصبح سالكا لمرور السيارات الدولية الفارهة في نهايته، كلّ هذا أوجب ضرورة تبجيل الرجل الغربي الوسيم هو ومشاريعه المليونية الدولارات، بالابتسامة يُقابله الشبّان الباحثون عن فرصة عمل أو فرصة هجرة إلى الدول الإسكندنافية، بالضحكات يُرد غضبه، بالكرم تُقابله البيوت والمؤسسات الأهلية والجامعات والوزارات. وقبل هذا وذاك أصبح ممول الأفكار الأكثر صدقية على الإطلاق، لا قبله ولا بعده! لهذا يعبّر أحد الشبان الغزيين عن الوضع ومن باب المزاح بقوله، إن مجموع الغزيين القاطنين داخل القطاع أصبح اسمهم «الجالية الفلسطينية في غزة»، غامزاً من قناة قلة أهميتهم بالنسبة إلى هؤلاء الاجانب، الذين تتفاقم أهميتهم بتفوق مواردهم وحاجة الغزيين، الذين أصبحوا «أقلية» لهؤلاء الأجانب.
وإن كنا نطرح اليوم هذا الموضوع القديم الحديث، فلن ننسى دور المشاريع الدولية في التنمية المجتمعية، وخلق فرص عمل للشباب العاطلين من العمل، إلى جانب الدور الكبير الذي أسهمت فيه السفن والقوافل الدولية لكسر الحصار في فضح ممارسات إسرائيل ضد الفلسطينيين، وذلك عبر توثيقها بالصور والأفلام الوثائقية والمدونات الصحافية.
في كل الأحوال، أقل ما يجب فعله ربما التفكير ملياً قبل تخصيص الصفوف الأولى للمتضامنين الأجانب دون غيرهم، في أي حفل يُقام، مثلما حدث في حفل ستراوس الموسيقي. فهؤلاء وإن وجب تقدير دور بعضهم، ليسوا اهل الدار، ولا الاهم، ولا فضل لعربي على اعجمي إلا بكفاءته وحبه لأرضه، وهو ما يستحيل ان يرجّح كفة الاجانب مهما كبر دورهم.

> صاحب الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين مفتاح الجنة

بعدسة أهلها

هو تفصيل صغير لا يتنبه له المرء عند النظر للمرة الاولى الى هذه الصورة. ما هو الشيء الرائع فيها؟ البائع الصغير؟ بل اللوحة الفلسطينية لأرقام السيارات. انظروا للحرف ف : أنه يعني فلسطين. للمرة الاولى أقع في غرام لوحة سيارة. (الصورة لشعيب ابو جهل)

رسائل صبابة وحنظلة

خبرة حرب

عندما تختبرين الحرب لأكثر من 10 سنوات من حياتك يا عزيزتي، فإن كيانك كله يتغير. ثقافتك تتغير بتغيّر نوع السلاح وثقله. إحساسك يتغير ويتقلب بحجم الخصام، وقلق الليل يطول بطول المسافة بينك وبين الأحبة. أنا تغيّرت كثيراً / أنا لا أشبه نفسي في الماضي كثيراً / أنا لم أعد أحب نفسي كثيراً. هل تشعرين بالأسى إن أخبرتك أنني، بعد أكثر من 5 سنوات على آخر جدار صوت سمعته، أنني أشتاق إلى صوته؟ أشتاق إلى هزّ البدن والقشعريرة التي تصيبني. أشتاق للنظر إلى السماء وأنا أراقب الطائرات الحربية تحلق فوق سطح بيتنا، ترسم خطوطاً في الهواء، تستفزني، تحاول إخافتي، فأستفزها في عقلي الباطني: «لن تجرئي، لن تقصفي»، ليخرق جدار الصوت في سماء ويغادر، وأخرق جدار الصمت بكلمة «قوية!».
ليومين على التوالي وأنا أسمع صوت الطائرات الحربية الإسرائيلية تحلق في أجواء بيروت، كنت أفكر أنني أتخيّل الصوت، ذلك أن أي وسيلة إعلامية لم تورد الخبر «التقليدي»: «هذا وقد حلّق طيران العدو فوق لبنان منتهكاً القرار رقم 1701، ونقل المندوب اللبناني الدائم لدى الأمم المتحدة شكوى لبنان إلى الأمين العام»، ولكن زميلتي في العمل سألت «شو هيدا الصوت؟»، فأجبت ببرود «طيران حربي». أكاد أجزم بأنها أصفرّت خوفاً، حتى نبرة صوتها تغيرت «ما تقولي هيك... هيدا طيران مدني». حسناً، لتقنع نفسها بما تشاء، إن أرادتها مدنية فلتكن، لست أنتظر من أحد أن يميز أصوات الآلات الحربية كما اعتدت. فعندما لم أكن أسمع صوت الطائرة الحربية في الجنوب كنت أشعر بالريبة، أنا التي تستمع إلى الاشتباكات بالأسلحة المتوسطة والثقيلة تكر وتفرّ في زواريب حي شعبي تسكنه، أنا التي أخرج إلى شرفتي للتفرّج، أنا التي تلعب لعبة الحزازير عن نوع الأسلحة المستخدمة في الاشتباكات، أنا التي يتصل بها الناس ليطمئنوا عليها! من منّا يستحق الشعور بالأسى، أنا أم هي؟ هي ببساطة لم تختبر الحرب، من يستحق الأسى أكثر؟
انتهت الحرب ومع ذلك ما زلت لا أنام... سهري في الليل ليس شكلاً من أشكال التضامن مع الذين لم يدركهم النوم بسبب صوت المدافع. لحظة، تذكرت ليالي كثيرة، لم أنم جيداً وقتها بسبب الإنزال الإسرائيلي. شكراً لكل من سهر لأجلي تضامناً معي حينها! ولكن، سهري في الليل ليس شكلاً من أشكال التضامن، وإن كانت مقولة العصر تقول «أنا أسهر، إذاً أنا متضامن»! سهري في الليل، قلق مزمن، مرض مستفحل، سببه ربما الحرب.
بيروت _ إيمان بشير

ولا يأتِ النوم!

غارة جوية تأتي وأخرى تذهب. وأنا أضحك كلّما سمعتُ انفجاراً أو قصفاً، وأضحك أكثر حين أسمع صوت سيارة الإسعاف يولول مباشرة بعد القصف! لماذا؟ لا أعرف! لا شيء يُخيفني، وربما من شدة الخوف ضحكت، أنا لا أفكر في تفسير، لكن يُحزنني أنني وصلت إلى هذه الحال.
في الحرب الأمر نفسه كان يحدث. لم أعد أفاجأ باستشهاد أو إصابة أحد، حتى أقاربي. لفرطِ الوجع لم يعد بإمكاننا الإحساس به، بالانفعال نفسه. ما أفعله أنني أدير المسجل على أغاني ثورية صاخبة، وأحتفل بالموت، بالإنسانية التي لم يعد لها مساحة. قتلى هنا وفي كل مكان، نتفرج على الأخبار أثناء تناول وجبة عشاء باردة، لنكن منهم أولئك المتابعين الراصدين للوضع الإقليمي، وماذا بعد؟
نُغيِّر عن قناة «الهم والنكد»، إلى قناة كوميدية، نظن أننا نمنح أنفسنا الحياة التي حُرم منها آخرون!
كانت قريبتي تتحدث إلى شقيقتها أمس، تسألها: «عندكم قصف بالجنوب؟ والله ما عارفين ننام، مش خلصوا قصف... ليش (الطائرة) الزنانة باقية فوق راسنا؟ وكأنّ الصوت هو كل ما يُقلقنا، يُزعزع مناماتنا، أما من يموت فهذه مهمة الإسعاف والحانوتي! للأسف!
هل الحرب هي أصوات انفجارات فقط؟ لا، الحرب أكثر من ذلك، كل يوم نخوض حروباً مع النوم، مع تجاهل كل ما ينقصنا. كيف بالإمكان أن نغمض أعيننا ولا تمرّ قذيفة تُفتّتُ جسداً؟ أو خبراً عن عشرات الجرحى والشهداء؟
ولا يأتي النوم، وأنا أُفكر في من يكون فقيد الغد؟ وكم بيتاً سينهار على أصحابه؟ وفي الصباح أهزأ بأفكاري، وأعرف أن ثمة من فارق الحياة تلك الليلة، وآخرين بكوا، وآخرين احتاروا إلى أي عزاء يذهبون أولاً، إلا أنني أعرف أيضاً أننا بتلك القوة التي بإمكانها إبقاؤنا هنا.
في الحرب يا عزيزتي كانوا يحسبوننا بالأرقام، والآن في وثيقة إسرائيلية رسمية: نُحسبُ بالسعرات الحرارية! نعم، لا ترفعي حاجبيكِ تعجّباً: تدخل المواد الغذائية إلى غزة بحسب السعرات الحرارية التي يحتاج إليها كل غزّي. انظري إلى فرطِ الاهتمام بنا! وتقولين نسهر تضامناً! هل خطر ببالك كم جندياً صهيونياً يسهر على راحة الموت يومياً؟
غزة _ أماني شنينو